جامعة المنصورة - كلية الآداب
المركز الحضاري لعلوم الإنسان
والتراث الشعبي

توظيف التراث الشعبي
في الموضة

ثريا إبراهيم على إبراهيم
مدرس بقسم الموضة
بالمعهد العالي للفنون التطبيقية

الثقافة الشعبية دورية محكمة يصدرها المركز الحضاري لعلوم الإنسان والتراث الشعبي
بالتعاون مع كلية الآداب - جامعة المنصورة - يناير ٢٠٠٠

مقدمة

التراث الشعبي على مر العصور مصدر للثقافة الشعبية ، فهو ذخيرة ، وثروة قومية ، مازالت مؤثرة حتى وقتنا الحاضر ، ومهمتنا الكشف عن جذور تراثنا ، وأصالتنا ، حتى يمكن توظيفه برؤية جديدة تتمشى مع الموضة ، وحتى يمكن الوصول إلى التنمية الفكرية يجب فهم تراثنا في الماضي للوصول إلى نسيج ثقافي فني جمالي إبداعي ، ويأتي ذلك عن طريق استخدام المنهج العلمي ، والنظرية التي يمكن عن طريقها استيعاب الاتجاهات الجمالية المتميزة بالأصالة والتجديد ، وإدراك القيم الجمالية ، وذلك بالكشف عن مناطق الجمال في التراث القديم بالتأمل المبني على التركيز.

وتعددت الصور الشعبية المرسومة على جدران المعابد ، والمتاحف ، والمقابر ، بصورها المختلفة من الحياة . وتلك الفنون متوارثة منذ آلاف السنين والتي يتعاقبها جيلاً بعد جيل حيث لها جذور تاريخية تمتد إلى الحضارات المصرية القديمة.

ومنذ أقدم العصور ، والإنسان بطبيعته ميال لكل جديد حتى بأبسط ما يملك من إمكانيات ، فكل تطور للحياة يصحبه تطوير لتصميم الملابس ، والحلي، والتزين ، وأيضا طريقة التزين والاستخدام ، ولقد اختلفت هذه الطرق باختلاف البيئات والعصور.

والموضة حلقة متصلة متجددة تستمد من حياة الشعوب عن طريق نقل خبرات الأجيال السابقة للأجيال المعاصرة ، والمقبلة ، بطريق مباشر ، أو غير مباشر ، بصبغة جديدة تتفق مع شكل الحياة الجديدة التي يعيشها بحيث يضيف من إبداعه شيئاً جديداً أو يعرف أشياء.

كما أن للمرأة نشاط بارز من الفن عند تصميم الأزياء ، وتطويرها وابتكار أشكال جديدة ، فالمرأة لها إبداعها في النقش والتطريز على المناديل ،

والطرح ، والأحزمة ، وتطعيم وصناعه وزخرفة الحلي كـالأقراط والأسـاور والخلاخيل والأحنية وترصيعها بالأحجار الكريمة ، وأثبتت وجودهـا كخلاقـة مبدعة في دنيا الفن.

وترتبط حياه الإنسان ارتباطاً وثيقاً بتراثه .. فمنـذ ظـهور الإنسـان يمارس حياته منذ ميلاده وحتى وفاته حاملاً تراث أجداده ، من عادات ، وتقاليد وممارسات شعبية ومعتقدات ، وبقدر قيمة تراثه وتمسكه لهذا الـتراث بمـدى المنفعة التي يحصل عليها ، إذ يجب توافر وظائف لهذا التراث وهي وظـائف متعددة منها: وظائف نفعية ، جمالية ، اعتقاديه.

وانطلاقا من أن عاداتنا وتقاليدنا تسير معنا سيران الدم ، لـذا نجـد أن التراث الشعبي بأنواعه لا يغرب عن أعين المجتمع بجميع طبقاتـه وأجناسـه والموضة تشكل جزءاً هاماً في حياة الإنسان على جميع المسـتويات وجميـع الأجناس بجانب المراحل العمرية ، وبالرغم من اهتمام الطبقة العليا بالموضـة ، إلا أن الطبقة المتوسطة تحاول الحفاظ على الشكل العام في اختيار الموضـة ، حين تحاول الطبقة الدنيا التسلق (إن جاز التعبير) في معرفة الموضة ، ولكـن لا تمارسها وتحاول عدم تجاهلها ، فإن لم تمارسها ببسـاطة فـالبعض الآخـر يتناولها من باب المعرفة.

والموضة لا تقتصر على الزي ، والإكسسوار ، والتجميل ، وتصفيـف الشعر ، بل تمتد الموضة إلى جميع أمور الحياة من موضة الأثاث ، والمباني ، والطب والأعشاب ...الخ . فعند ظهور شئ جديد يطلق عليه موضة كذا مما سبق يمكن القول بان الموضة هي ظهور ثقافة ما بشيء ما سلبية ، أو إيجابية ، تتناقلها جماعة وتنتشر وتظل فتره زمنية تطول أو تقصر تشبع رغبة ثم تنتـهي ثم بعد فترة زمنية تعود ويمكن لبعض الرافضين لها (الموضة) من قبل قبولـها في فترة زمنية أخرى تحت أي سبب.

مشكلة البحث وأهميته ومفاهيم الدراسة :

ومن هنا كانت مشكلة البحث في كيفية توظيف التراث الشعبي وتصميم زي يميز تراثنا ويساير الموضة لذلك كان ضرورياً العمل على جمع ، وتوثيق هذا التراث الخاص بالوحدات الشعبية المرسومة على جدران المنازل ، والمدارس ، والعربات الشعبية ، في المناطق الثقافية المختلفة ، ثم تجميع وحداتها وإبراز رمزيتها ومعالمها . خاصة أن هذا التراث يعد كنزا يجب أن يستفاد منه بعد التطور التكنولوجي لعالم الموضة الذي يتطلب الإبداع . وحتى يظل مركز الموضة دائما يقدم الجديد وإلا لن يصبح هناك مصممين ومركزاً للموضة وهذا يعد مستحيلاً طبقا لمتطلبات البشر من ذكر ، وأنثى ، فهم في انتظار كل جديد من معلومات ورسائل إعلامية موجهه لعالم المرأة بصفة خاصة. وهذا يعد محاولة لتصميم زي ذو طابع يحافظ على تراثنا في قالب معاصر.

وتنبع أهمية البحث في إبراز تراثنا بما فيه من تلقائية الفنان الشعبي لإلقاء الضوء علية والاستفادة منه خاصة الموتيفات ، والوحدات الشعبية ، والقيم الفنية والجمالية ، التي تتسم بالبساطة النابعة من الفنان الشعبي المعتمد على التلقائية في التعبير والخيال والرمز ، باعتبار أن تراثنا هو النبع الحقيقي للعطاء مما يتطلب دراسة ميدانية للاستفادة من فنوننا القديمة ، حيث أن مجال الموضة يتطلب الابتكار ، والإبداع ، والجهد في إخراج الجديد خاصة إذا كان جذور هذا الإبداع يقف على جوانب عديدة من عادات ، وتقاليد ، وثقافة مناطق شعبية مصرية أصيلة . ثم تلي مرحلة توظيف التراث في فن الموضة.

ولمواصلة السير في إبراز هذا التراث المسجل في مناطقه الثقافية ، كان إصرار مقدمة البحث على الاستفادة منه في موضوع ليس سهلاً وإخراجه في قالب معاصر ليواكب التنمية والتطور الهائل في الموضة.

وعلى الجانب الأخر تبين مدى حاجة الموضوع لمزيد من الدرس والبحث للمناطق الثقافية المختلفة من المجتمع المصري ، والتي يمكن التسجيل منها ، حيث إن الفولكلور يفيد الإنسان في جميع التخصصات ، والاتجاهات وحتى يحس الفرد بأهمية تراثه والوصول به للإبداع والاستلهام ، يتطلب ذلك جمع الوحدات الشعبية من البيئة وتحليها من خلال الاستعانة بالأسس المنهجية التي يمكن أن تساهم في الاستفادة من هذا التراث . ثم تأتي المرحلة العلمية بعد جمع الوحدات والموتيفات الشعبية ، وهي عمل تصميمات توظف لزي ، أو إكسسوار ، حيث إن الاستلهام من التراث بسمات جديدة تشكل قيم جمالية ، علاوة على أنها مظهر من مظاهر التعبير الفني له دلالاته الواضحة على الخبرة الثقافية للمجتمع ، هذا بجانب أنه يمكن من التصميم الواحد استلهام تصميم آخر بشكل إبداعي . ومن هنا جاء موضوع كيفية توظيف التراث الشعبي في التراث اختياراً لمواكبة المعاصرة ، بجانب الحفاظ على التراث وذلك من منطلق التعمق في دراسة المحلية للوصول للعالمية.

ولما كان تسجيل التراث عن طريق التصوير والرسم من مناطق وأماكن مختلفة ، حيث أنها تحقق الهدف فهي تسجل بيئات لها سمات جغرافية وثقافية خاصة تميزها قد أبدعتها جماعات وشكلت سمه من سمات المجتمع المصري وقد تجلى ذلك من خلال تعبيراتهم الفنية في مفردات الوحدات ، والموتيفات الشعبية التشكيلية والمعبرة بأسلوب رمزي مثل : النجمة ، والهلال ، والمثلث ، والكف ، والعين ، والنقطة ، والدائرة ، ورقة شجر وردة ، وموج بحر ، وسمكه ، وحدات الوشم على أجزاء الجسم (الوجه ، الأيدي ، الذراع ، الصدر)، الفخاريات من (جره ، زير ، طاجن ، إبريق ، قله مزخرفة) ، أدوات الموسيقى (طبلة ، رق، ربابة) ، هذا بجانب بعض الموتيفات التي تعبر عن حدثاً هاماً من سفر المحمل ، وفرحه المودعين ، والمستقبلين من حج ، وزواج ، ومولد عروسه المولد ، صندوق مزخرف حصان يركبه فارس حيث يترجم

القائم بالرسم ما في عقلة دون أن يتكلم في صورة رسـومات تجريديـة تشـبع رغباته وتحقق ذاته وميوله طبقًا لثقافته بوحدات بسيطة ، وكلها تحكى حكاية أو حدوته أو أسطورة ، وتحمل اعتقاداً ، والعمل يحقق الشكل الجمالي بجانب اللون الذي يشكل ثقافة المجتمع ، والذي يساعده على إخراج العمل خلفيه الحائط الذي يرسم عليه والمطلي باللون الأبيض أو درجات الأصفر والأزرق .

وإن توظيف تلك الوحدات ، واستلهام أشكالاً أخرى إمـا متماثلـة ، أو متكررة تساهم في إزالة الأمية الفنية ، والعلمية لاستلهام التراث مما يؤدي إلـى المعرفة التي تساعد على التنمية الفكرية في الثقافة الشعبية بخاصة ، والثقافـة الشاملة بعامة ، والتي بدورها جزءاً من حياه الإنسان ، فعن طريـق الإبـداع المثقل بالمعرفة والمعلومات يمكن أن يصل الفرد إلي الابتكـار ، وهـو الـذي يتمشى مع الموضة التي تعتمد على التصميم المبتكر مـن زي ، وإكسسـوار ، وهذا يعد إثراء للتنمية.

فالإنسان هو صانع الحضارة من خلال تعامله مع البيئة التـي تسـجل تراثها بمناطقها الثقافية من عادات ، وتقاليد ، ومعتقدات ، بفنونـها المختلفـة ، والتي يعبر عنها الفرد برسوماته . فتلك الثقافة هي جوهر الإنسان ، فتأتى عملية التواصل عن طريق الرؤية أمام النشء لتراثنا العظيم الذي يسجله الإنسان ، فقد قاموا بنحت الجبال ، والأحجار ، والأخشاب ، ونسج الملابس ، والخيـام ذات التصميم الزخرفي المميز بالألوان الرائعة ، حيث أن الوحـدات الشـعبية مـن الفنون المرسومة والمصورة التصقت بعقل الإنسان وتفكيره النظري ، والـذي عبر عنها بأسلوبه التلقائي ، وهذا ما عكسته له بيئته الثقافية ، لـذا يعـد هـو المستوحي والمستلهم هذا التراث الذي يحقق له العديد مـن إشـباع الرغبـات الجمالية ، والإعتقادية .

التراث ضرورة اجتماعيه للتنمية :

التراث الشعبي له حيويته لذا يجب أن يستقر في أذهان ، ووجدان المجتمع حتى يمكن توظيفه لصالح العصر ، وحتى يمكن أن يندمج في وجدان المجتمع المستفيد حيث يلامس أحاسيسهم ومشاعرهم باعتباره مقوماً أساسيا وأصيلاً في مجال الثقافة والتنمية .

لذا يجب أن يتاح التراث الشعبي للجميع بالممارسة ، والتذوق وليس للمتخصصين ، أو طبقه بعينها ، فالوحدات الشعبية بأشكالها المتعددة برموزها تلازم الفرد . ويأتي الابتكار ، والتصميم الجيد عن طريق الممارسة في التصميمات المختلفة لما هو متاح من مادة ، وذلك بعد توظيفها ، ويتم هذا الإبداع من البيئة بمختلف طبقاتها لإبراز الصورة الجمالية ، وأغراضه الوظيفية .

هدف البحث :

* عمل تصميمات مستوحاة من التراث الشعبي (زي _ إكسسوار) .
* المحافظة على التراث وتسجيله وإحيائه .

مفاهيم الدراسة :

من الحقائق الثابتة إن الموضة فن ، والموضة كانت معروفة منذ فجر التاريخ ، يتخصص لها مصممون مبدعون يبتكرونها **لمناسبة خاصة مثل :** المناسبات الدينية ، ومناسبات العرس . أي أن الموضة خرجت من مصر من سبعة آلاف سنة .

علاقة التراث الشعبي بالموضة :

إن الفولكلور هو العلم الذي يدرس الكل ، والجزء ، من عادات وتقاليد مجتمع له ثقافته وقيمه ولا ينقرض بل في تواصل وإحلال لبعض العناصر والموضة لن تغفل عادات المناطق الثقافية حيث أن مصمم الموضة يدرس الكل

والجزء ، أي أن الشخص الذي يقوم بعملية التصميم لا يغفل جغرافية المكـان ، الناحية النفسية ، الفترة التاريخية ، والزوايا الخاصة بالشكل ، والتأثير اللونـي ، أي عادات الشعب.

الفرق بين الموضة والعادة والتقليعة والبدعة والطراز:

الموضة:

ظهور شئ يعتنقه البعض وينتشر ويرفضه البعض الآخر ، وكلاهما لـه حرية الاختيار . والموضة هي الشيء الجديد الذي يهدف جعل الفرد ترك ما هو معتاد علية ، وإحلال جديد محله وهى عملية إحلال فالجديد يصبح عـادة بعـد فترة.

والموضة: هي التغير الدائم في الشكل والذوق وتتيح الفرصة للإبداع والابتكـار والمنافسة.

العادة : اتباع موضة والاستمرار فيها وتظل هكذا حتى تظهر موضة جديدة.

التقليعة: ممارسة تتميز بالمبالغة ، ولفت النظر لحداثتها ، يعتنقها بعض الأفـراد خاصة في سن الشباب.

البدعة : سريعاً ما تختفي أي هي مؤقتة لزمن قصير جدا. والبدعة في المعجـم الوسيط هي ما استحدث في الدين وغيره.

الطراز : العنصر الدائم في الموضة.

ويمكن القول أن الموضة هي فن الأناقـة فـي الملبـس ، والحلـي ، والإكسسوار ، والمكياج ، وتصفيف الشعر ، وتتصل اتصالاً مباشـراً بفصـول السنة لذا تستمر فترة من الزمن. والموضة في تغير دائم ، ويرجع ذلك لدراسـة المجتمعات من جمال وذوق وعادات وتقاليد ، وتلهف الإنسان لمعرفـة الجديـد وحتى تظهر مراكز الموضة في عمل دائم ودائب . وتتصل الموضة بظـروف المجتمع بجوانبه الاقتصادية والسياسية والدينية.

كما أن الفترات التاريخية السابقة سجلت تراثاً ذاخراً بأشكال الموضة في جميع الحضارات ، وهو ما تؤكده آثار الفراعنة ، والكلدانية (بابل - آشور) والإغريق ، والرومان.

فالتراث الشعبي يمتد في عراقته عراقة الإنسان على الأرض ، فمن الطبيعي أن يظل ويتواصل في ضمير المجتمعات الإنسانية وتتأثر بشكل مباشر ، وغير مباشر بالوعي أو باللاوعي.. بهذه المعتقدات إلى حد الضرورة في تجاوزها للأهمية الشكلية اتساقاً مع طبيعة المعتقدات الروحية للإنسان.

قضايا البحث :

بالرغم من أهمية التراث الشعبي في جميع المجتمعات الإنسانية إلا ان الموضة قد تختلف أو تتشابه باختلاف الأطر الثقافية ، والاجتماعية ، والاقتصادية مما يتطلب الكشف عن أنماط الجانب الإبداعي ، والقيم الجمالية المرتبطة بالخطوط الأساسية للموضة ، والأبعاد الكامنة وراء الوحدات التشكيلية ، والموتيفات الشعبية في مجتمع له سمات جغرافية ، وثقافية خاصة أنها تلقي الضوء على مجموعة من القضايا تنحصر فيا يلي: -

- الفن في المجتمع على المستوى الاجتماعي فن وظيفي ، وفي الغالب يحمل معتقداً.
- إن الممارسة العملية ترتبط بالناحية الإبداعية.
- ارتباط الخيال بالناحية الإبداعية.
- أن الموضة في مصر تكاد يتعذر الاهتداء بها ، والتي تكاد تكون تصميماتها غريبة عن البيئة الذاخرة بالوحدات الشعبية ، فأننا نرى أهمية توظيفها بتصميم يقوم على التنويع والابتكار مع الاحتفاظ بالطابع التقليدي للتصميم.
- أشكال الوحدات والموتيفات الشعبية ترتبط بإبداع الفنان.
- يمكن الاستفادة من التراث بفنونه العديدة في الموضة من عادات وتقاليد وتشكيل.

- مدى تغير الوحدات الشعبية بين المستويات الاجتماعية المختلفة.
- القيمة الجمالية في الوحدات التشكيلية ومدى تأثرها على الملامح العامة للمجتمع.
- مدى تأثير الاتصال الفردي والجماعي في تشكيل الجدران.
- مدى اهتمام أفراد المجتمع بتزيين الجدران كمقوم جمالي ، وتراثي.
- **العوامل التي تؤثر في طبيعة ممارسة أفراد المجتمع للوحدات الشعبية:-**

- عامل اقتصادي   - عامل جمالي
- معالجة عيوب الجدار.   - المحافظة على التراث وإحياؤه.

- دور المعتقدات الشعبية في التأثير على تشكيل الجداريات.

الإسهامات النظرية :

حاولت مقدمة البحث إلقاء الضوء على بعض القضايا الهامة لأهم النظريات منها:

١) النظرية الوظيفية .

٢) النظرية الرمزية و نظرية الشكل.

منهجية البحث :-

أولا : الإطار النظري : المنهج الوصفي التحليلي.

ثانيا : التطبيقات العملية للبحث:

عمل تصميمات مستوحاة من الوحدات والموتيفات الشعبية ثم توظيفها في زي - حلي . ويرفق بالبحث مجموعه من الوحدات الشعبية المصورة بمناطق ثقافية مختلفة ، ثم مجموعة من التصميمات المستلهمة من التراث ، ويليها مجموعة من المانيكان لبعض الأزياء ، وأخيرا بعض التصميمات لعمل الإكسسوار والحلي.

نتائج البحث :

١-حصر أشكال عديدة من الوحدات ، والموتيفات الشعبية التي يمكن توظيفها في الموضة.

٢-عمل تصميمات مختلفة تعكس الوحدات والموتيفات الشعبية .

٣-عمل نماذج لزي باستخدام تراثنا من الوحدات الشعبية بطريق التجريب للوقوف على الخلفية التاريخية لهذه الرسومات.

٤-عمل تصميمات للإكسسوار يمكن تنفيذها بخامات مختلفة تتمشى مع الموضة.

توصيات البحث

١) تغطية مصر في مجال البحث والتنقيب عن التراث ، وعمل أطلس مصري للوحدات والموتيفات الشعبية يمكن الرجوع لها وتعتبر بمثابة كنز من الكنوز الرائعة التي يمكن تناولها في شتى المجالات الفنية من أجل خلق طابع قومي يعبر عن ثقافتنا مما يجعل لنا الهوية التي نفقدها في كثير من مظاهر حياتنا.

٢) إلقاء اهتمام مصممي الموضة بثقافتنا الشعبية واعتبارها ثقافة ذات حضارة وليس كما يعتقد البعض أنها تخلف.

٣) تشكيل لجنه متخصصة تقوم بدراسة مسحية للمناطق الثقافية للوقوف على أهم السمات الرمزية لكل منطقة حتى يمكن تحقيق الهدف وإحياء تراثنا لتنمية الفكر الثقافي.

٤) وضع خطة بالمدارس منذ المرحلة الابتدائية والتعامل مع الوحدات الشعبية ، ورموزها لمعرفة التراث المصري منذ نعومة أظافرهم ، حتى يمكنهم الإبداع والابتكار من ثقافتهم الشعبية و ذلك يكون نتاجه التنمية ومسايرة التقدم الفني والفكري.

المصادر والمراجع

- **هدى أحمد زكي:** المنهج التجريبي في التصوير وما يتضمنه من أساليب ابتكاريه وتربوية (رسالة دكتوراه) ، كلية التربية الفنية - جامعة حلوان ، القاهرة ، ١٩٧٩.

- **حمدي خميس:** التذوق الفني ودور الفنان المستمتع ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٦م.

- **هربرت ريد :** التربية عن طريق الفن ، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة مصطفى طه حبيب ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب والأجهزة العلمية ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٧٠م.

-**أحمد يوسف يوسف خفاجي:** الزخرفة المصرية القديمة.

- **محمود بسيوني :** العملية الإبتكاريه ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٥م.

- أبحاث مؤتمر الثقافة الفنية التشكيلية - محافظة القاهرة - رابطة خريجي المعهد العالي للتربية الفنية ، أبريل ١٩٨٧م

- **Perard Fictor; Drawing Tress, New York, Pitmaan , 1959.**

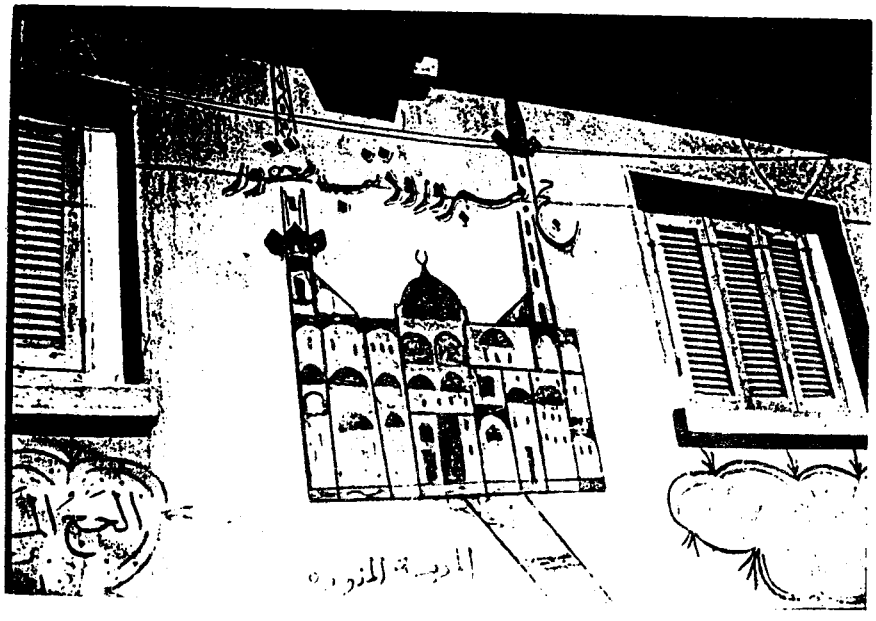

محافظة القليوبية "قرية سيدى خوص"

الخيام الحديثة تحل محل الخيام البدوية

القناطر الخيرية كفر سليم

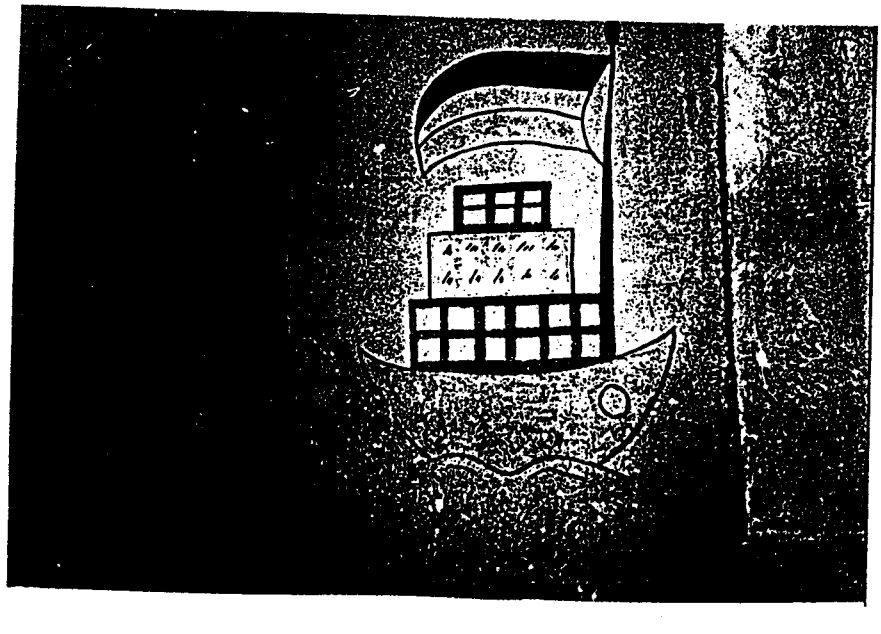

سحارة القرية (قرية دهر الدوب)

مصر القديمة "عمرو بن العاص"

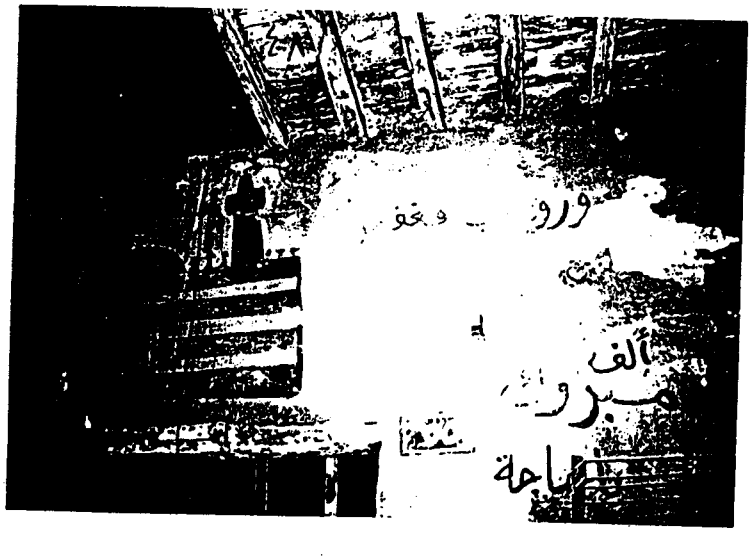

مصر القديمة "عمرو بن العاص"

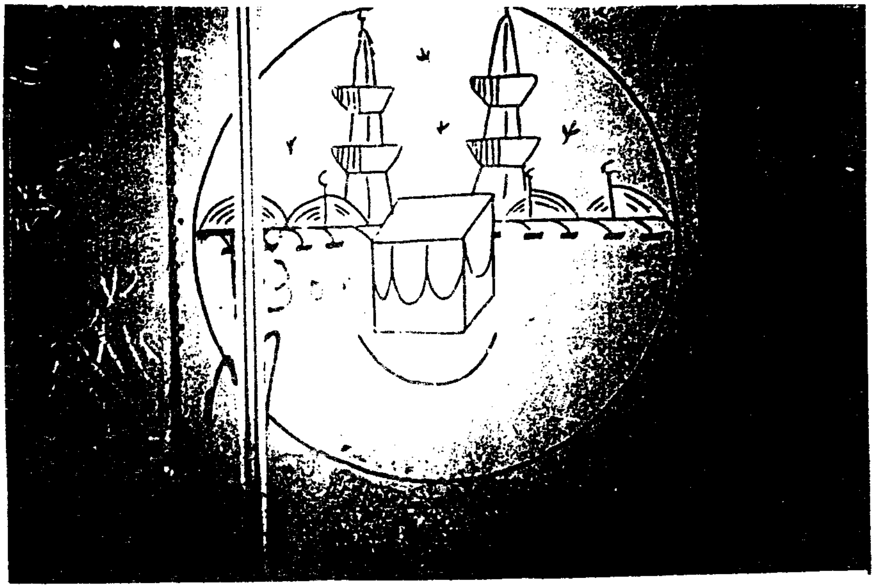

محافظة الغربية (كفر الزيات) "قرية نصر الدين"

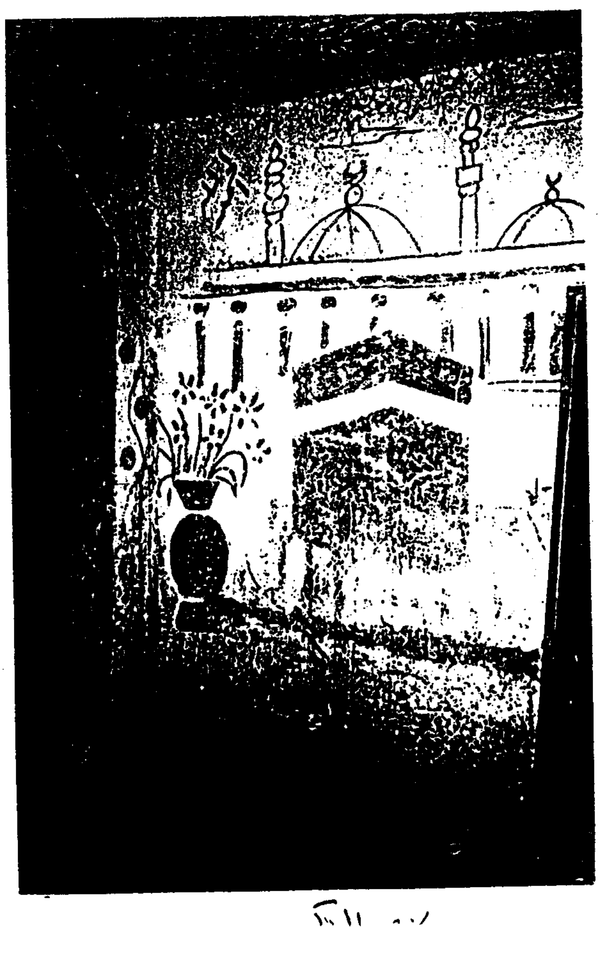

حي زينهم "مدرسة أدهم"

بولاق الدكرور

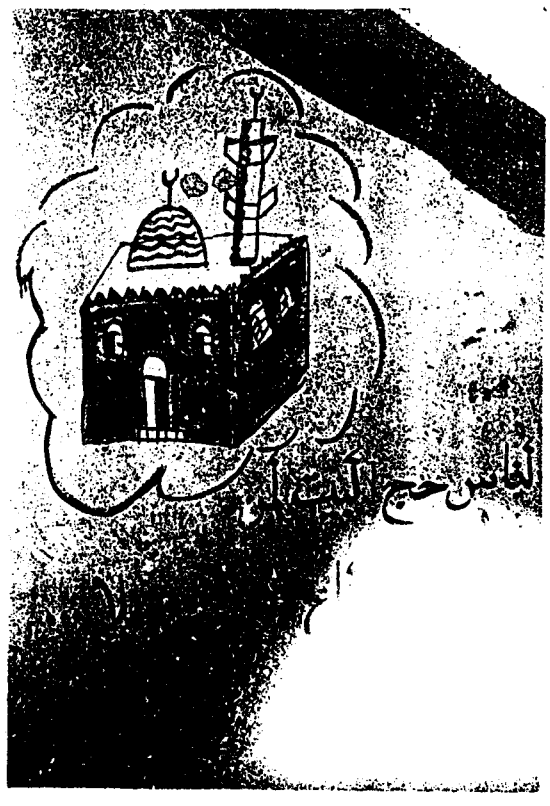

القناطر الخيرية قرية كفر سليم" بلدة شلقان

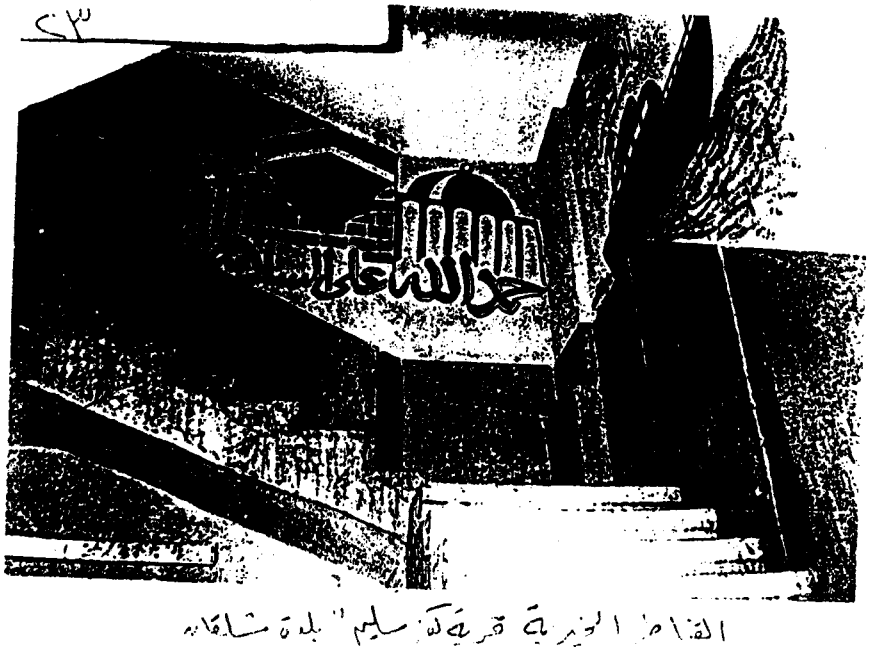

القناطر الخيرية قرية كفر سليم" بلدة شلقان

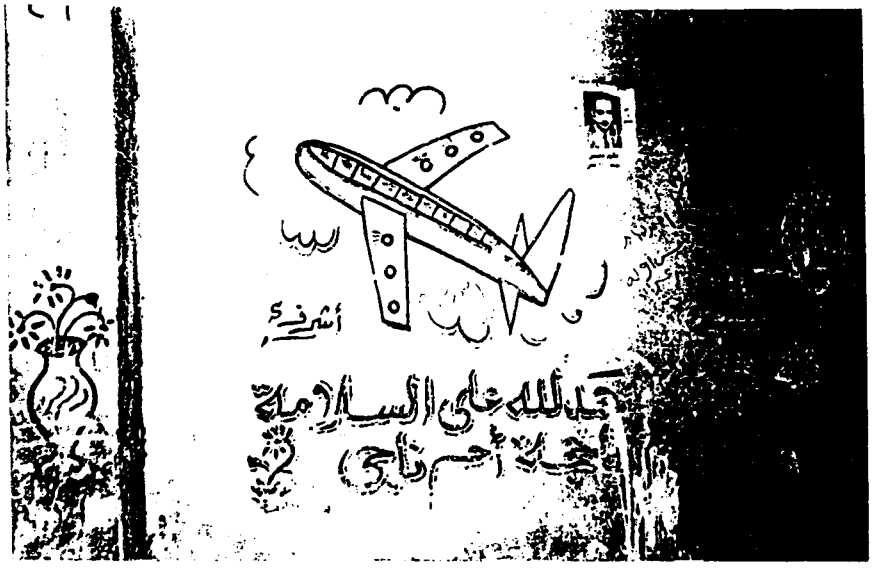

القاطرة الحديدية "كرسليم شلتاية"

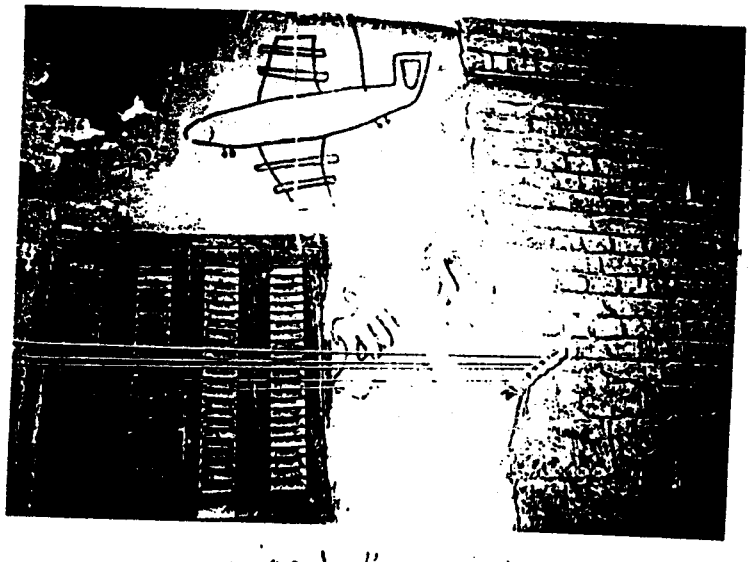

مصر القديمة "جامع عمرو"

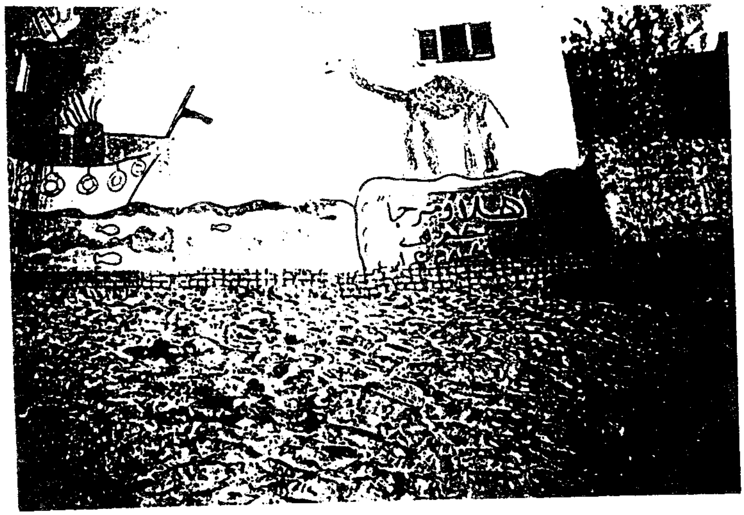

المعادي "كوم غراب"

محافظة الجيزة "الحوامدية"

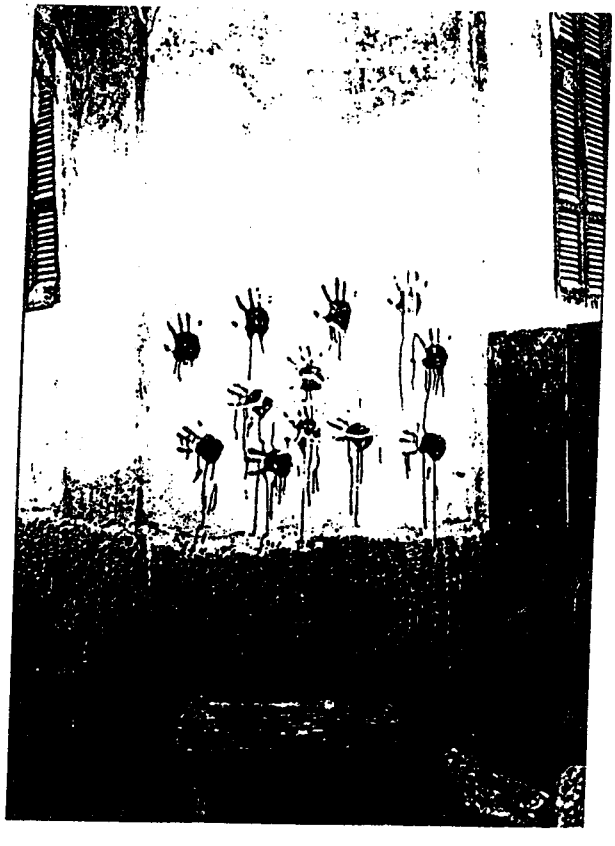

السيدة زينب

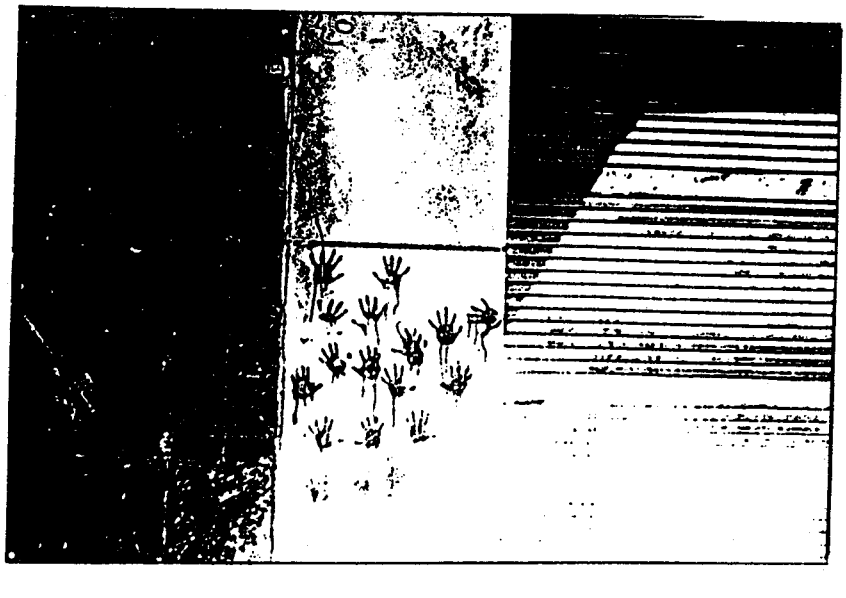

السيدة زينب

"الفخارين" مصر القديمة

السيدة زينب

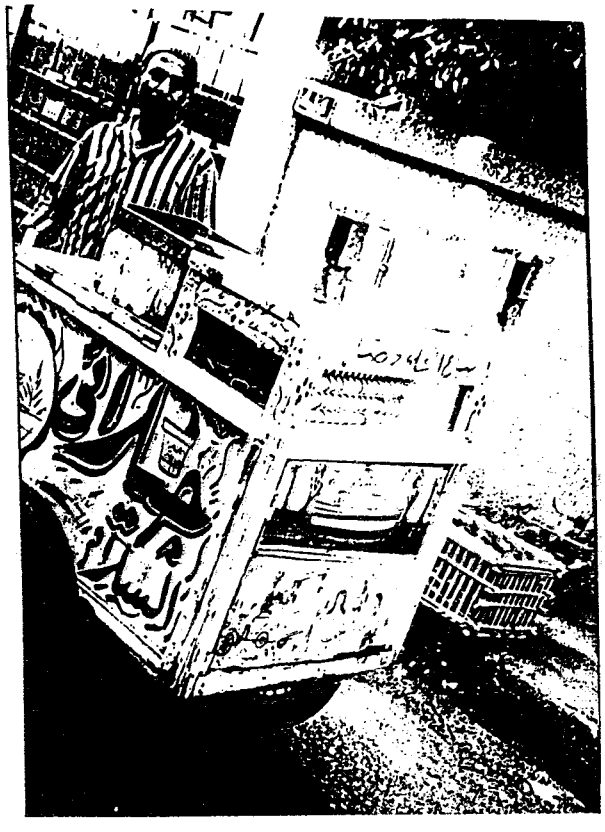

جنوب الجيزة

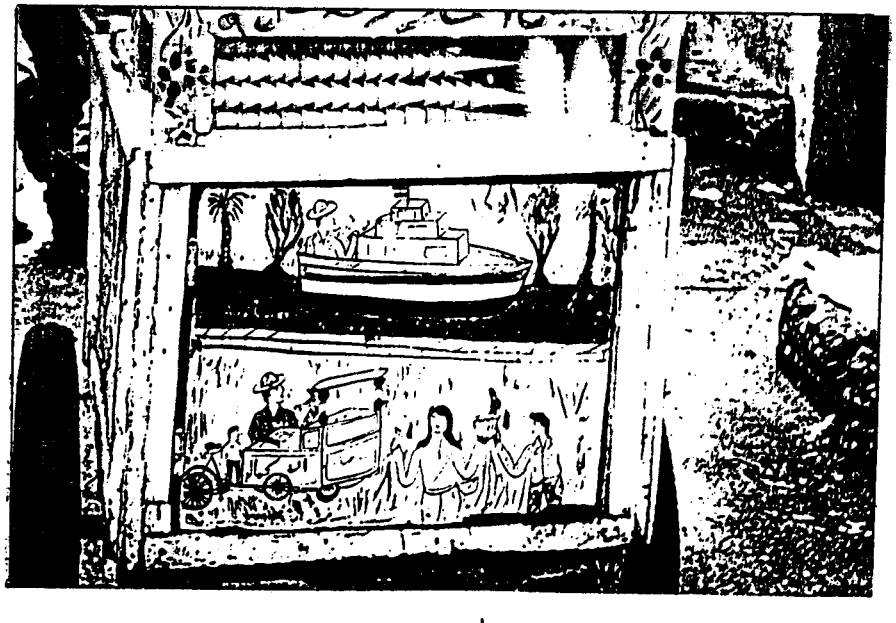

جنوب الجيزة

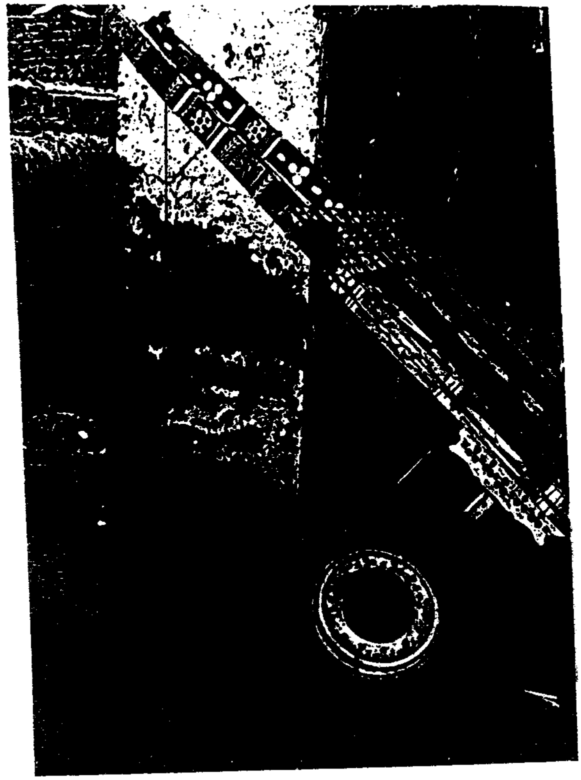

محافظة الدقهلية مدينة دكرنس "قرية ميت سويد"

السيدة زينب

٦

نموذج لأحد الأعمال الفنية المستمرة "الحوش والحياة الشعبية"

ولاله النوري

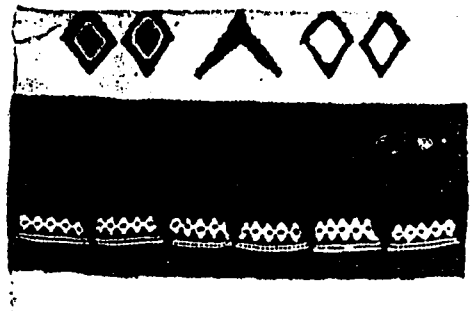

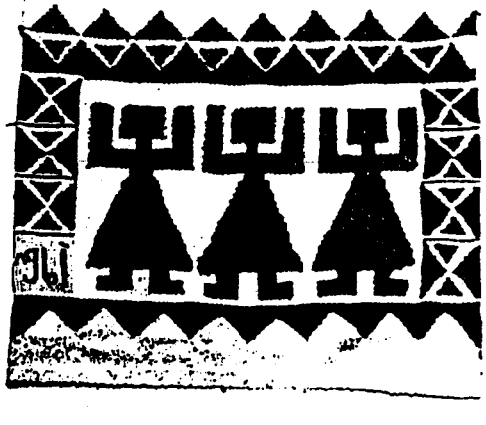

نماذج من تراث الهندسية والمثلثات

(دلالة الغورى) كتصميم على قماش "فتاة راكبة حصانه"

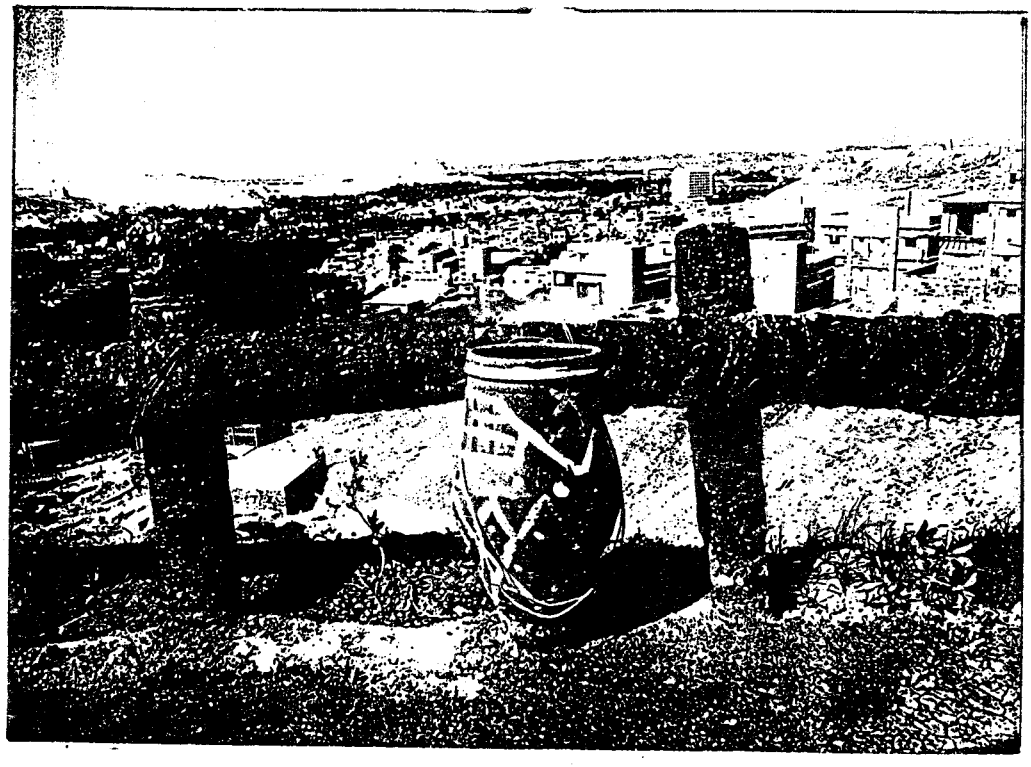

زي مزين بزخرفة نوبية
في احدى الكازينوهات

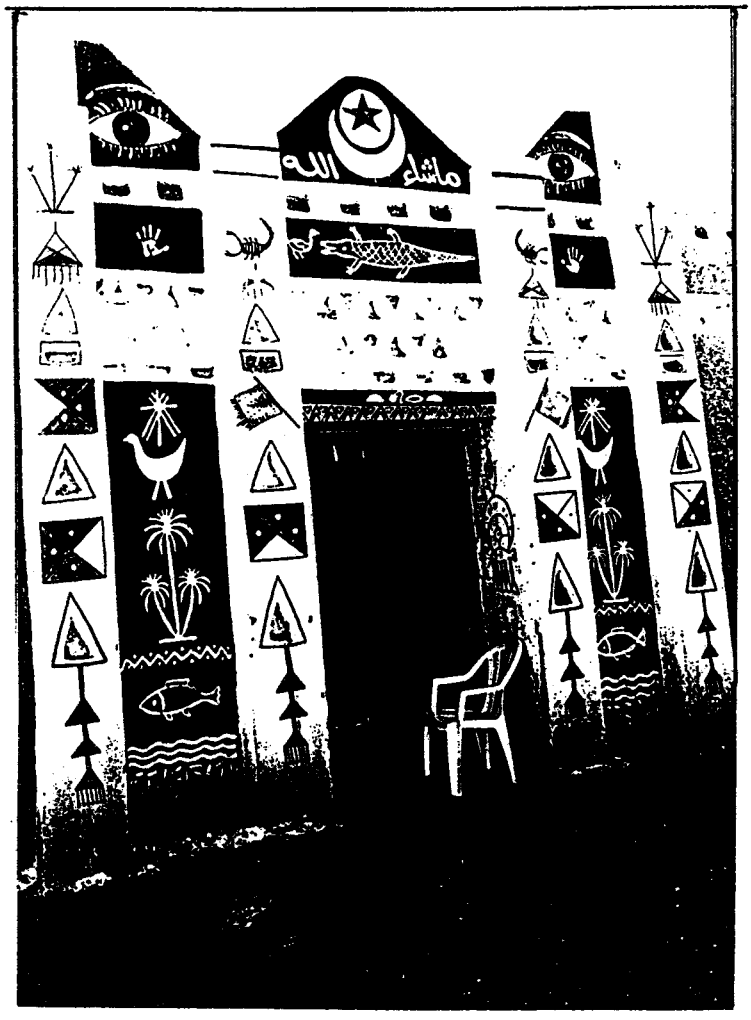

واجهة لبيت نوبي بأسوان

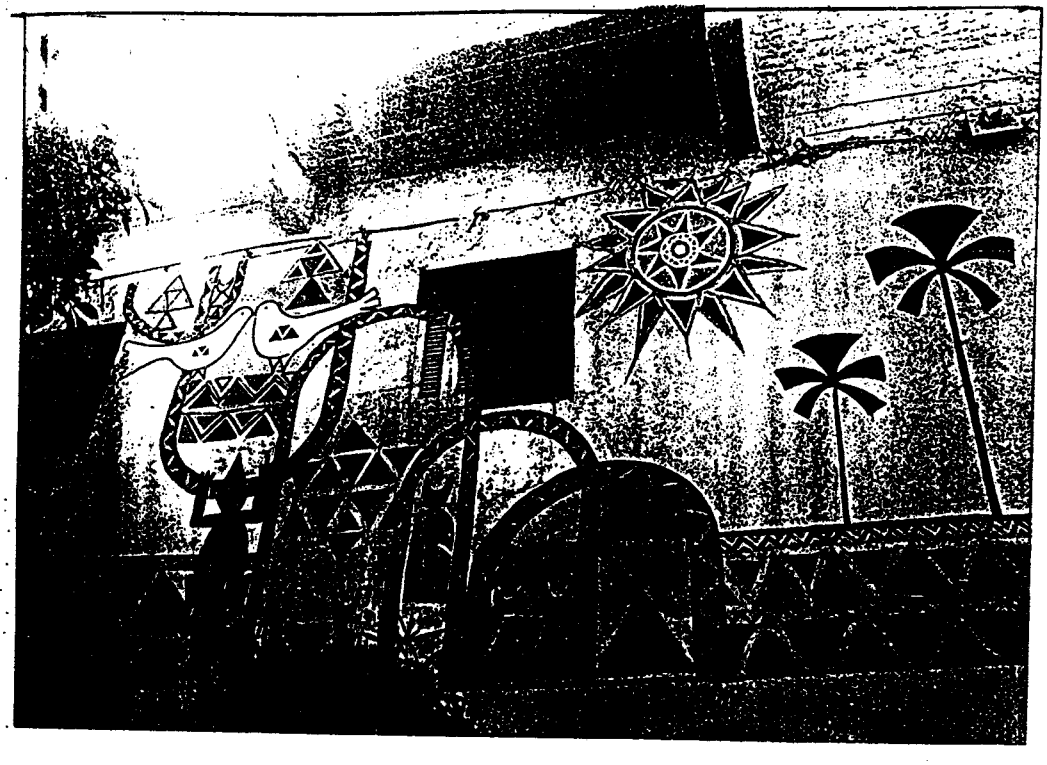

منزل من المنازل الفخمة بمنطقة صهاري والحزاك
بأسوان "زخارف نوبية"

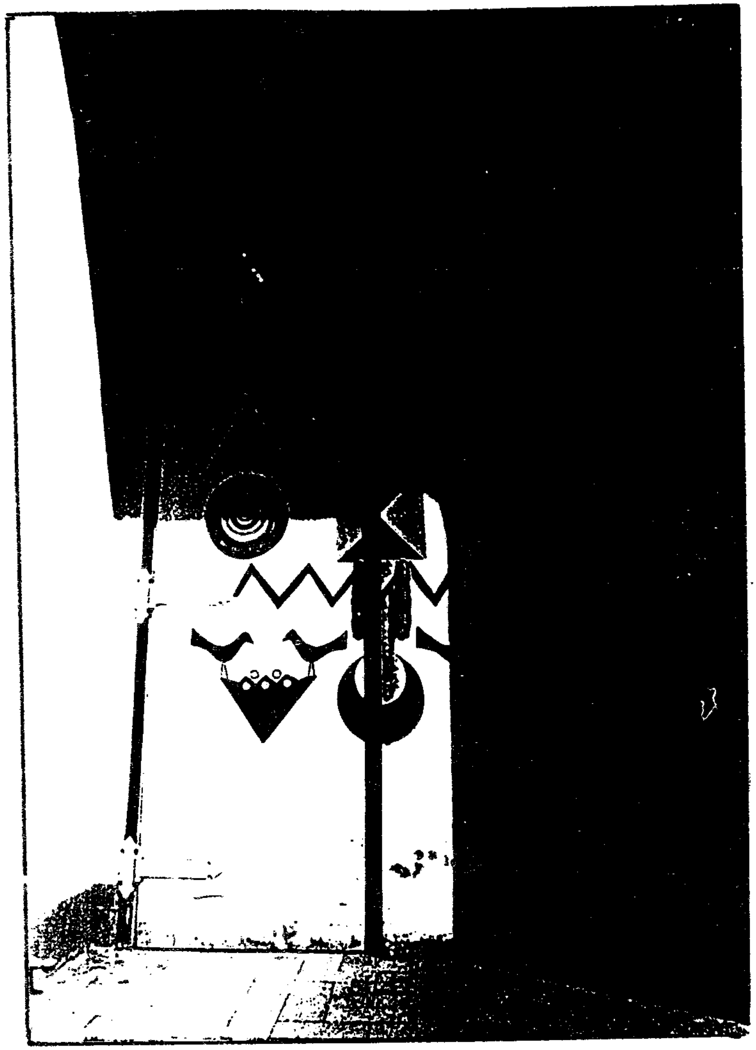

"إحدى البازارات بأسوان"
"زخارف نوبية"

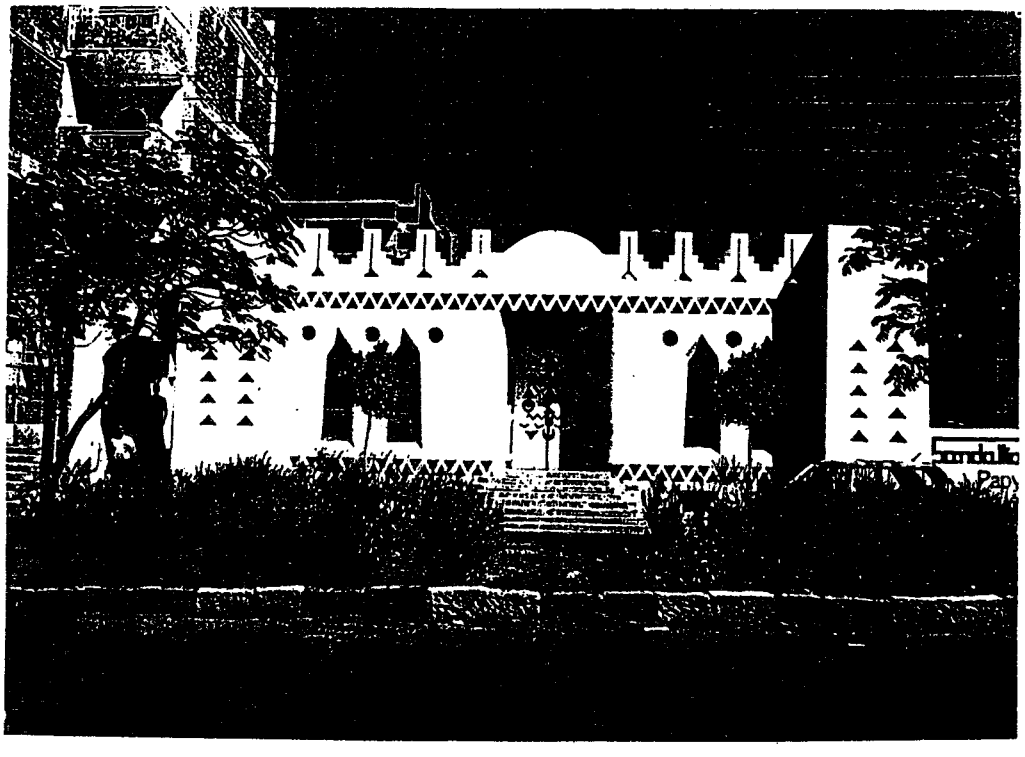

شكل لمنزل نوبي لفتت زخارفه
على إحدى البازارات

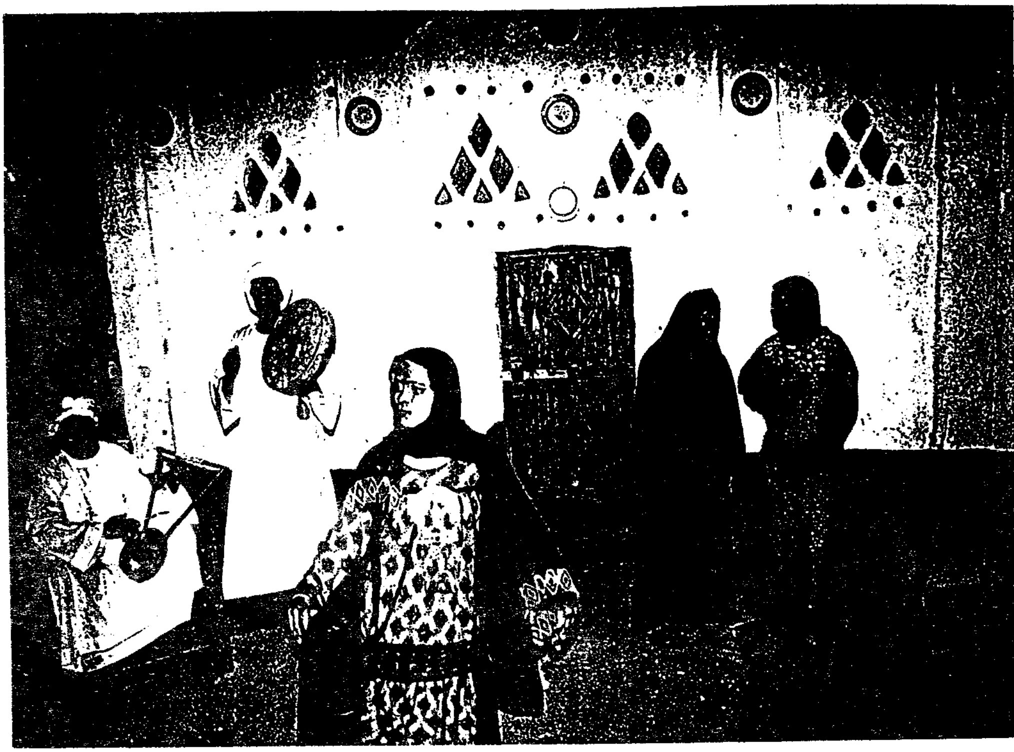

"المتحف النوبي"
واستخدام الزخارف النوبية

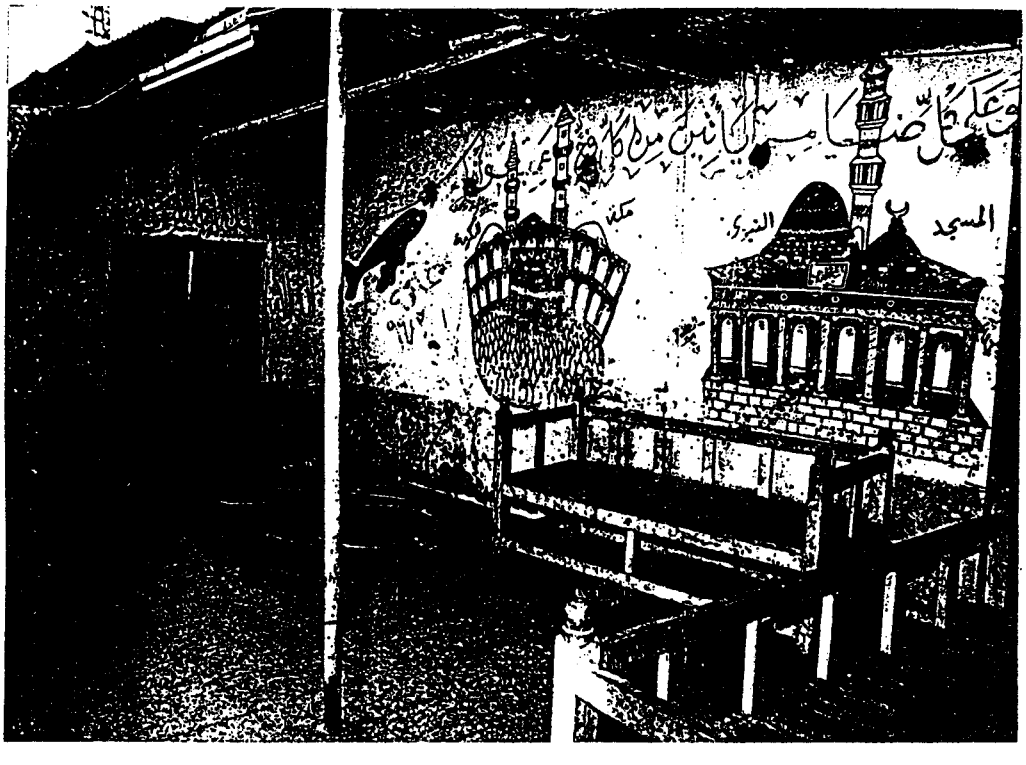
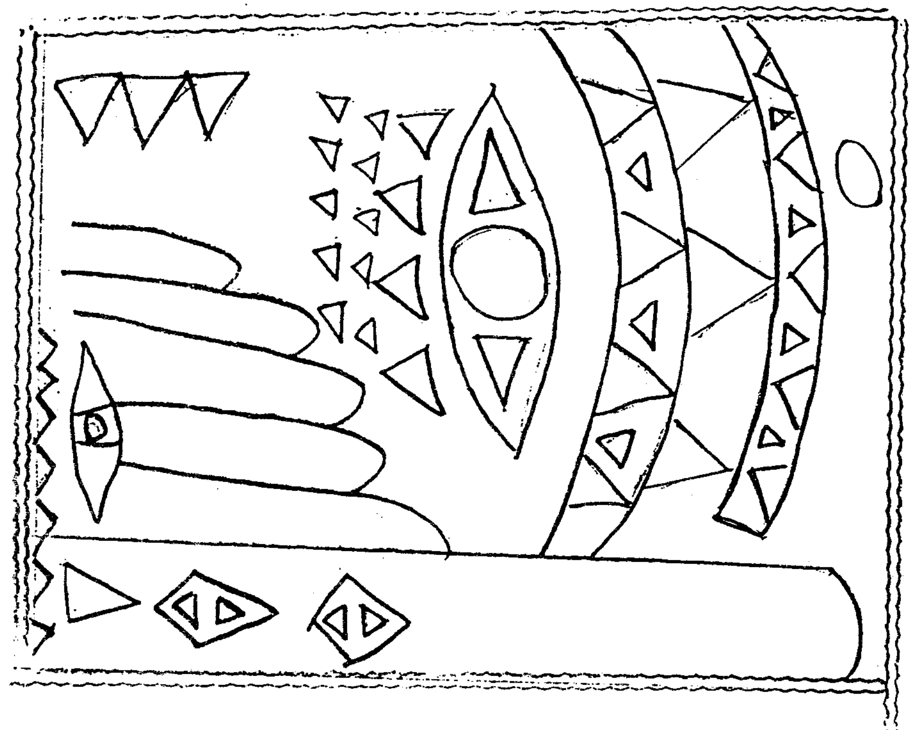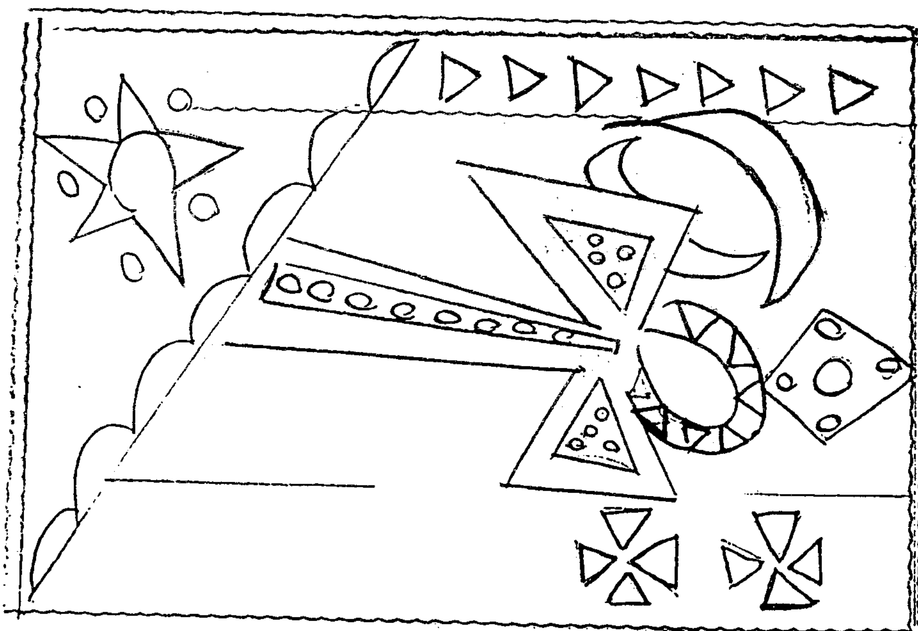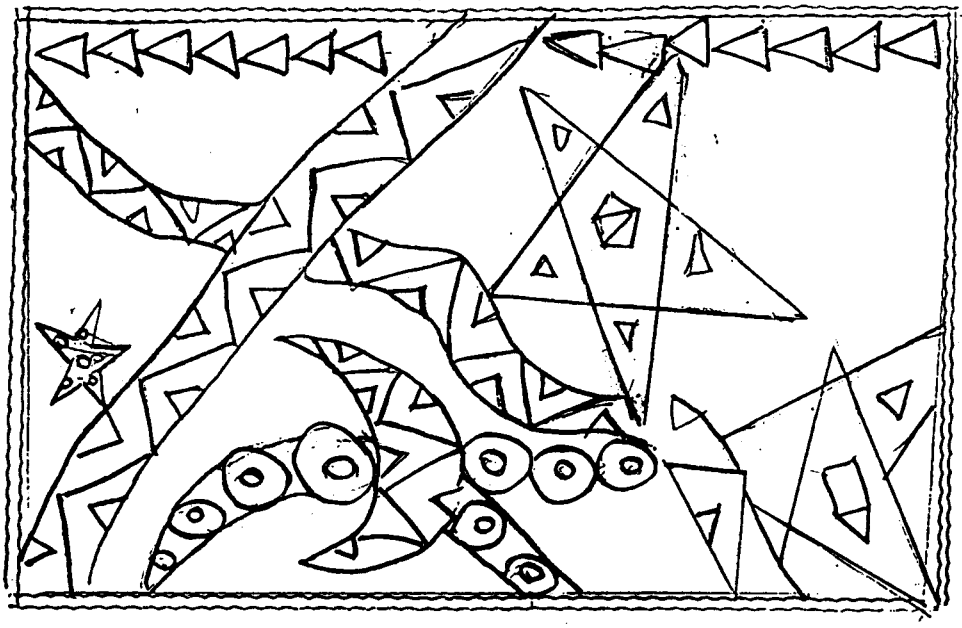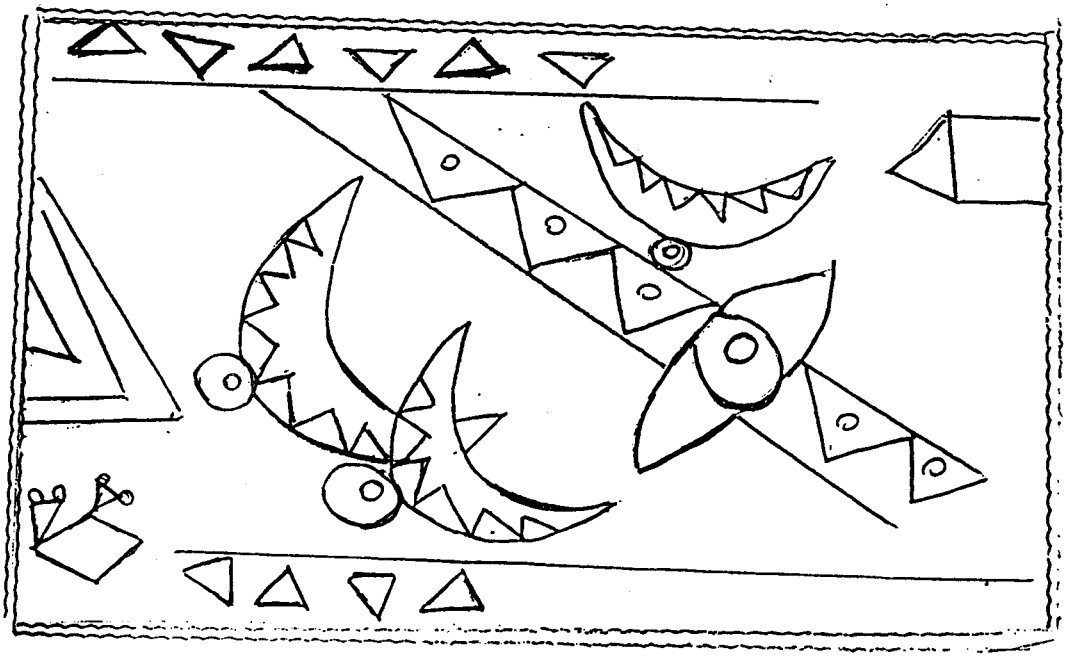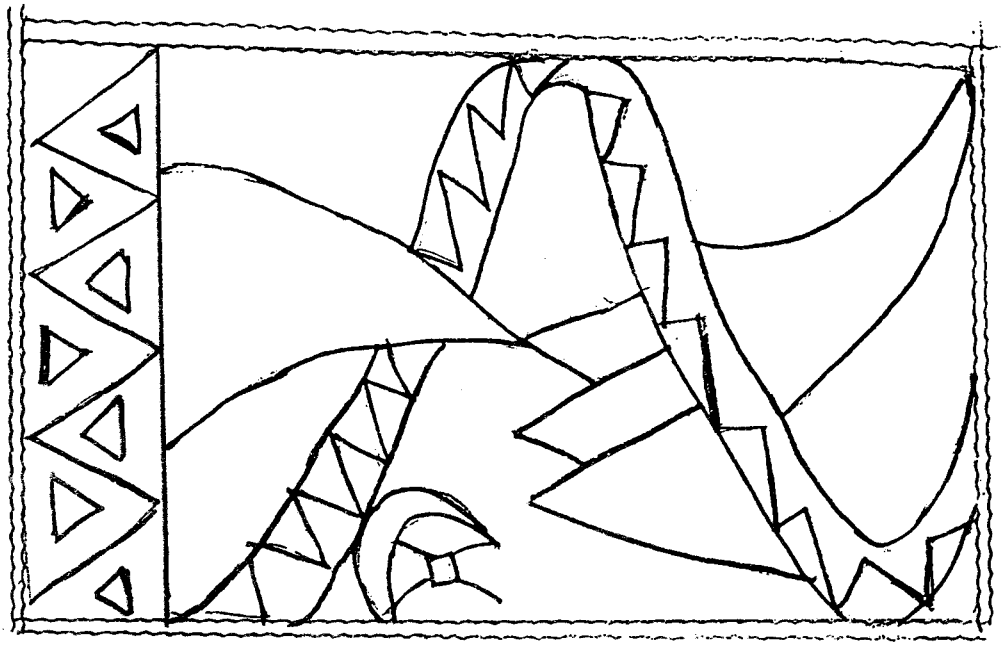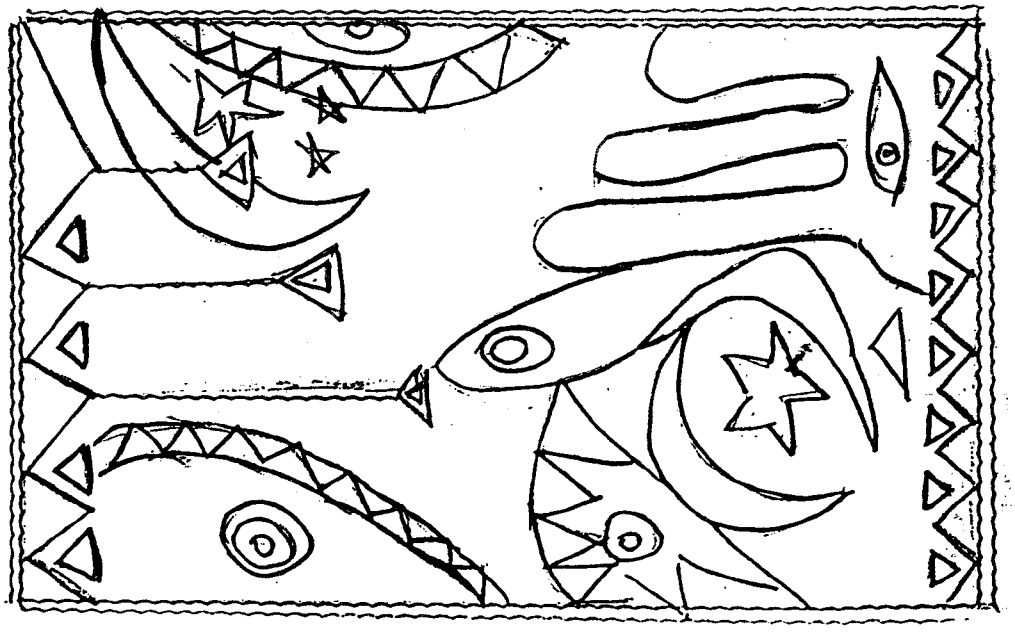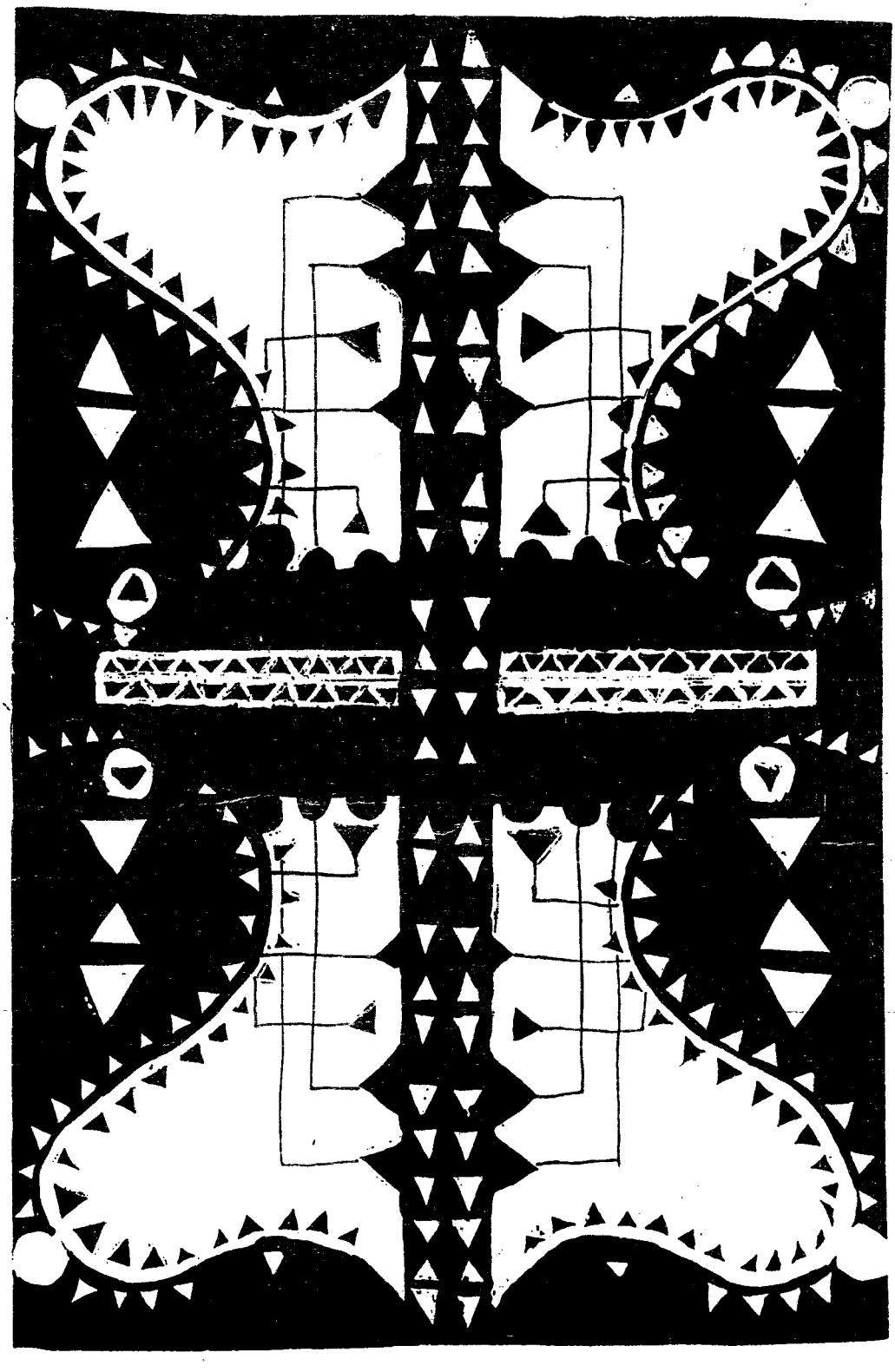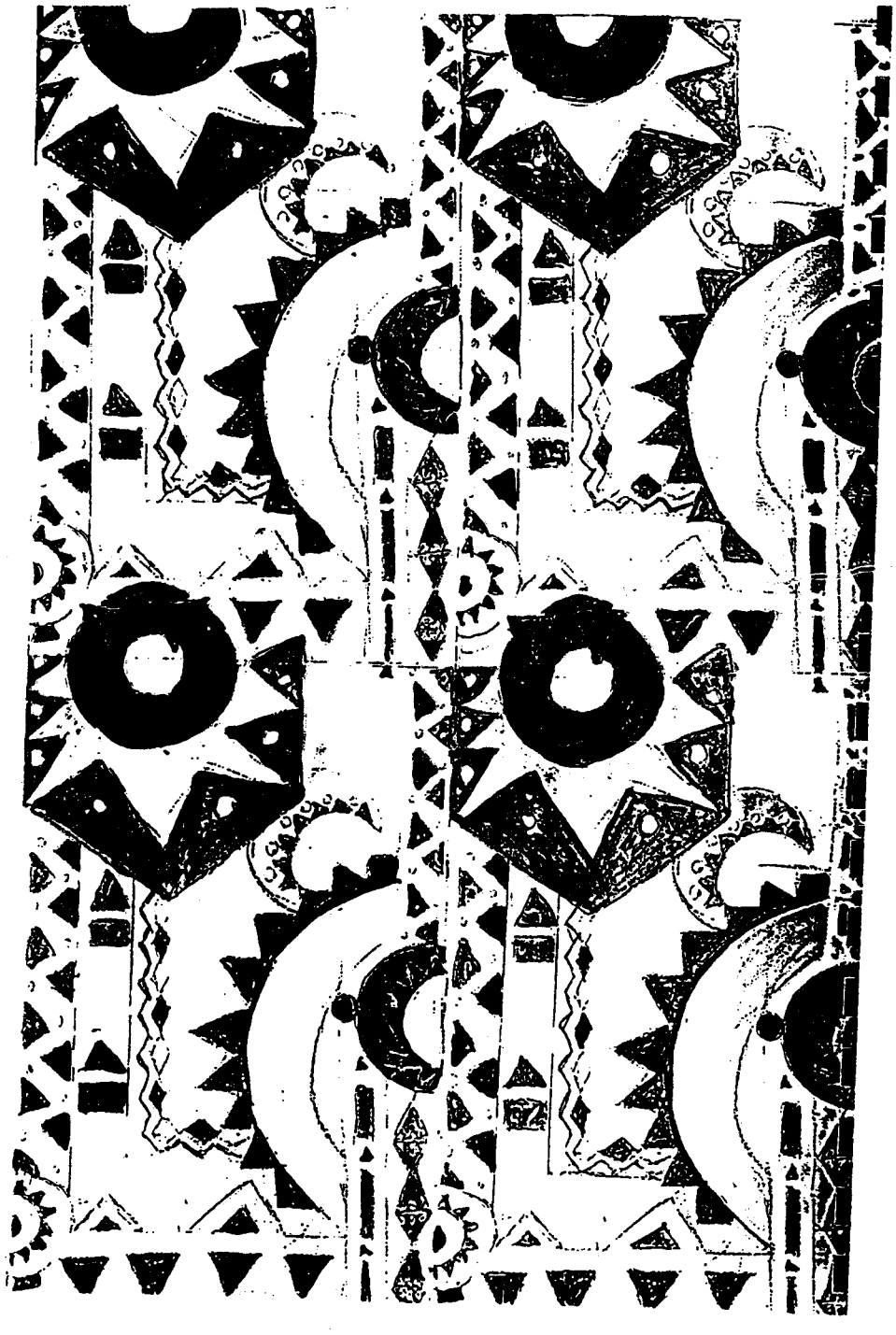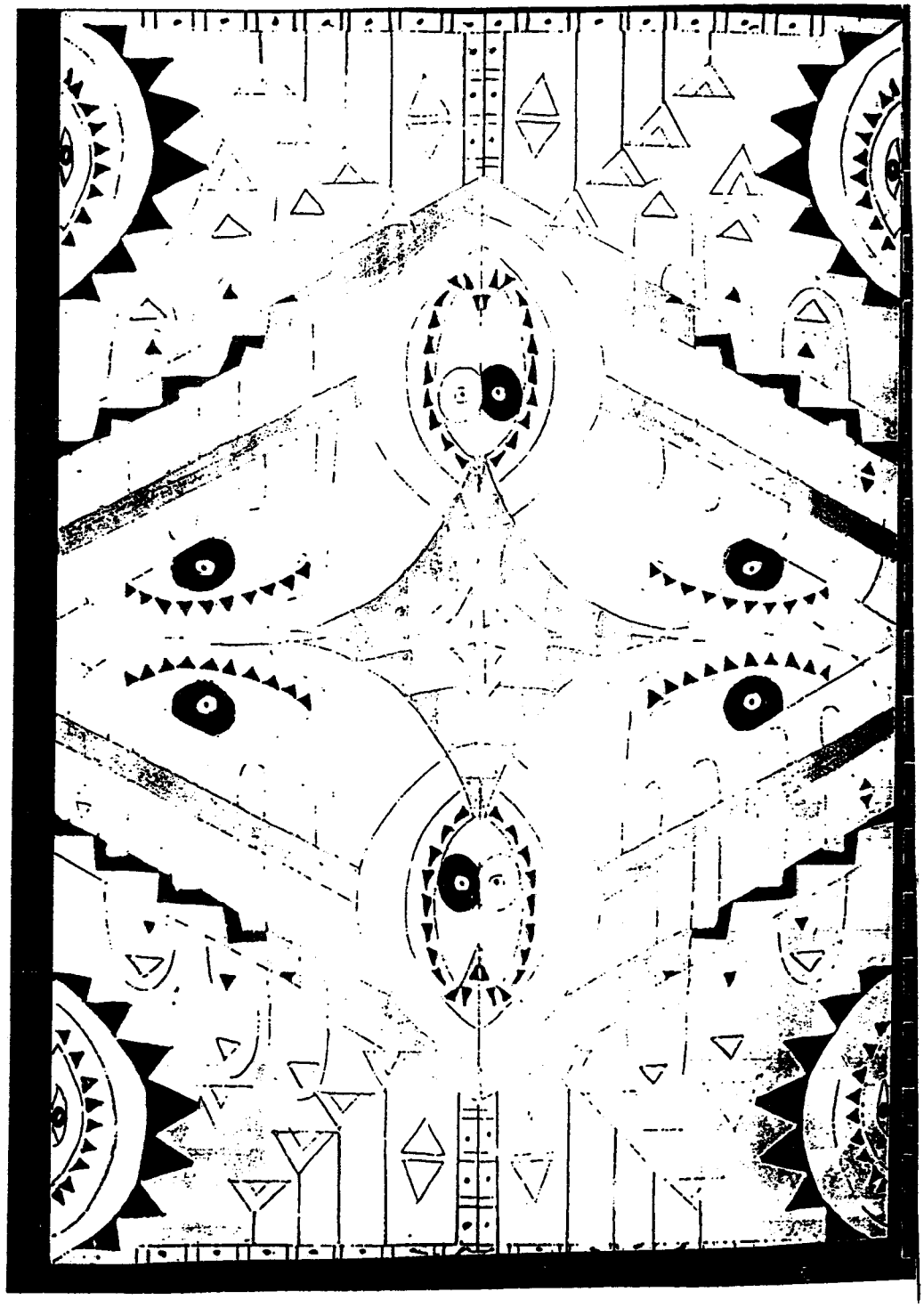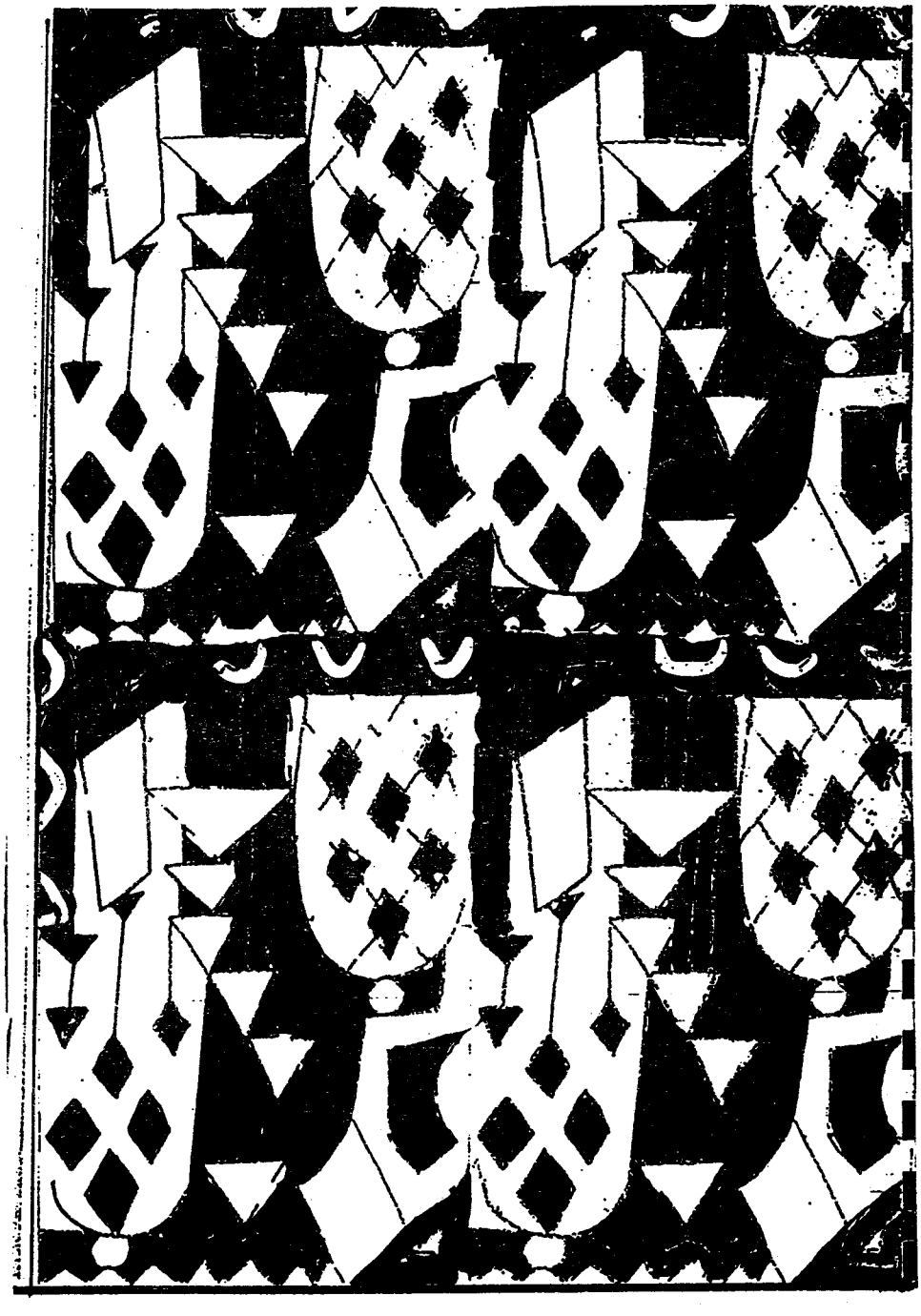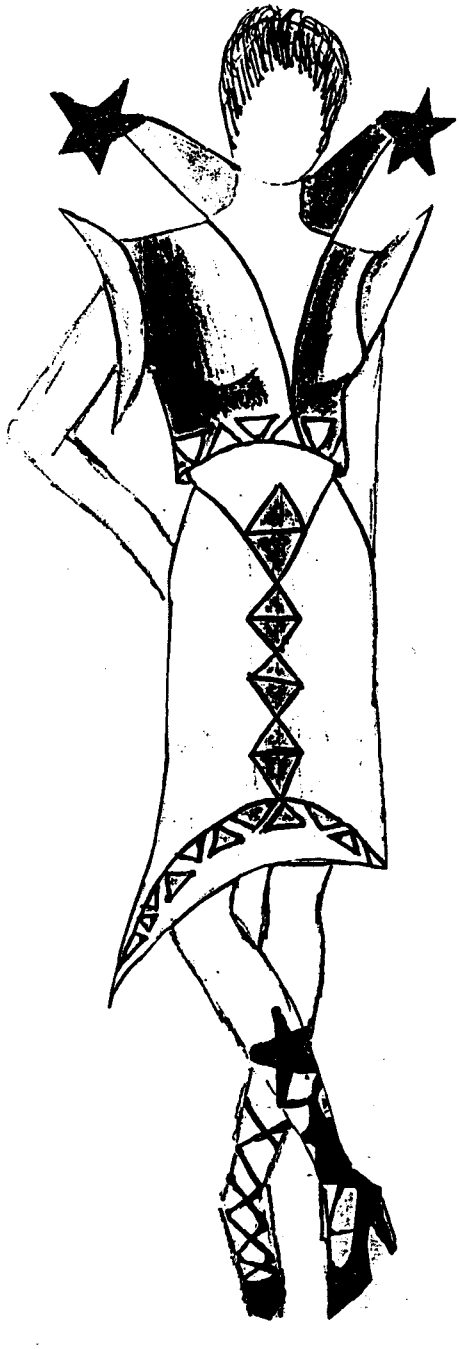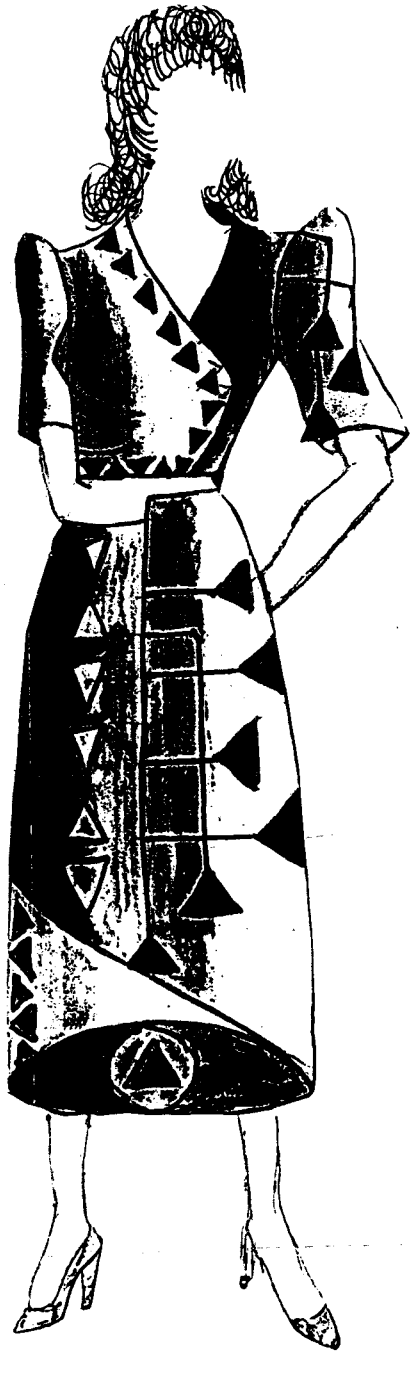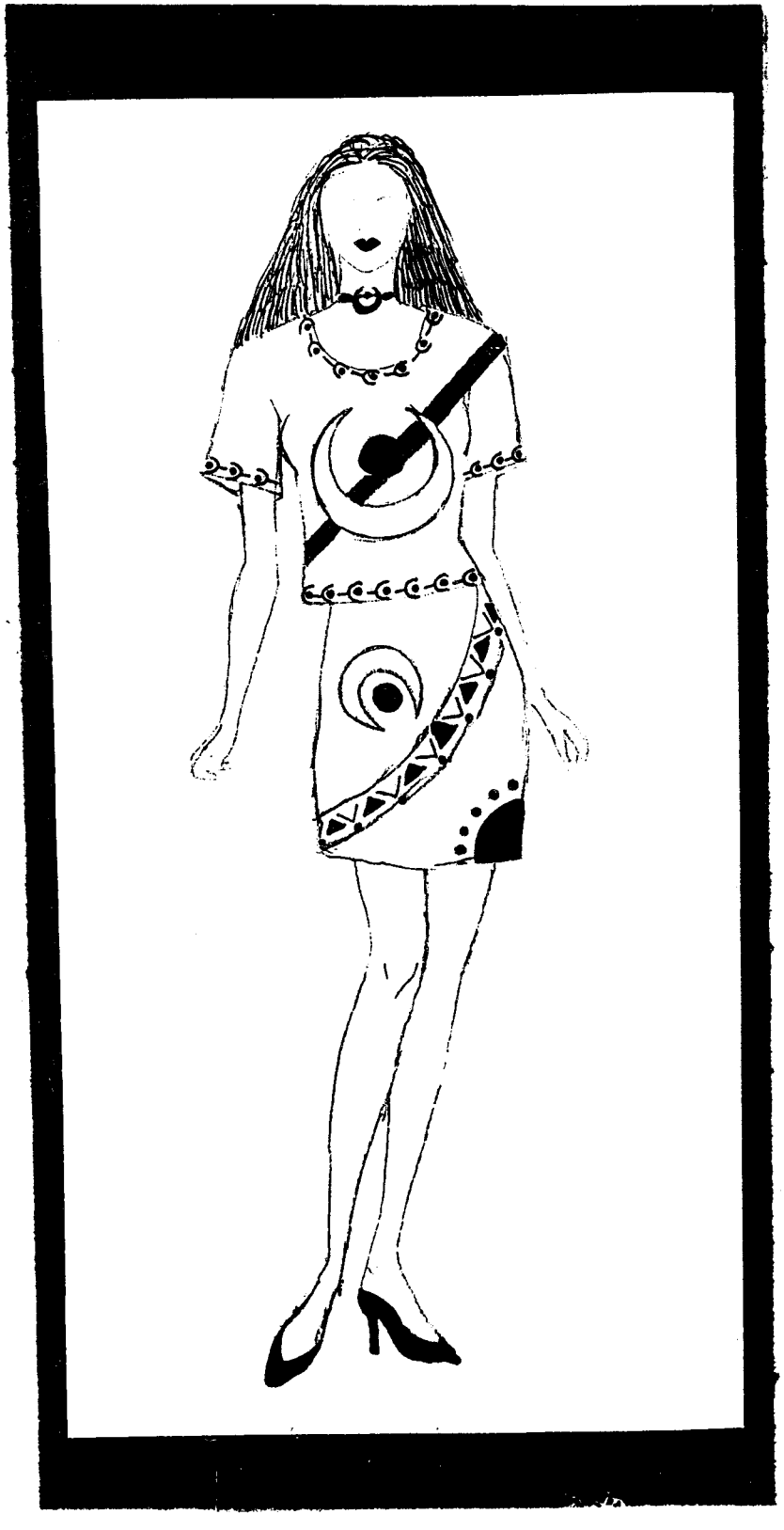
استخدام الكتابات والزخارف
على إحدى أركان المنزل بالثوبة